



# وسائل التحصن من الاعلام الخارجي

الدكتور : احمد صدقي الدجاني

الرياض

1407 م - 1987 هـ

# وسائل التحصن من الاعلام الخارجي

الدكتور احمد صدقي الدجاني\*

كل قضية في عالمنا المعاصر لها بعدها العالمي ، نحن امام وضع مميز لم يعرف تاريخ الانسانية له مثيلا ، ولم يكن حال اية امة من قبل كحال امتنا اليوم ، فهي على اتصال وثيق بالأمم الأخرى وطبعي ان ينجم عن هذا اخذ وعطاء وتفاعل وقد وصف احد الكتاب المعاصرین هذا الوضع فقال : ان هذا الوضع لأمتنا العربية يتميز بالانطلاق النافذ ، والتغير المتسارع والتشابك والتعقد والاتساع والشمول<sup>(1)</sup>

ولا نغفل في عالمنا المعاصر الحضارة الحديثة وعن امكانات هذه الحضارة : فمنجزاتها المادية هائلة ، وكذلك منجزاتها العلمية . ان حرية الانسان في مجتمع ما وبين اقرانه قضية اخذت اهميتها ولكن

هذه الحضارة الحديثة تعاني من مفارقات عجيبة .

هناك تفوق في التطوير العلمي والتقني لكنه ليس شاملا ، فهناك شعوب متقدمة . وهناك شعوب متأخرة ما زالت تعيش بعيدة عن هذا التقدم ، وما زلت اذكر العالم الذي كان يرأس مؤتمر العلوم السياسية الدولي وكان منعقدا في موسكو سنة ١٩٧٩م وهو يبحث عن التحدي الكبير الذي يواجه عالمنا ، لأن ثلاثة ارباع سكانه ما زالوا يعيشون في تخلف ، وقد تسائل اذا كانa بربع هذا العالم حققنا هذه الانجازات فكيف نسخر العقل الانساني كله

هناك مفارقة أخرى بين التطور التقني وتطور الأفكار والنظم فما زال هناك تخلف في كثر من النظم عن مسيرة الركب .

وهناك مفارقة كبيرة بين التطور التقني والتطور الخلقي ، إنها أزمة

\* رئيس المجلس الأعلى للتربية والثقافة والعلوم بمنظمة التحرير الفلسطينية .

1 في معركة الحضارة: قسطنطين زريق .

حقيقة خلقية نلاحظها في المجتمعات الحديثة ويعبر عنها بأساليب مختلفة  
بأنها تحتاج إلى معالجة

وهناك مفارقة كبيرة بين تطور الشعوب ورغباتها وبين قدراتها، نحن  
نعيش في عالمنا المعاصر هذا، فلتتمثل حقائقه، كي نحس التعامل مع  
مشكلاته وتحدياته، لأن العالم له تقسيماته وله مشكلاته وله تحدياته

ننتقل إلى وجه آخر بعد أن عرفا أمتنا وعالمنا المعاصر، دعونا نركز  
النظر على أهم ما في دورتكم على عملية التفاعل الحضاري، ولقد قرأت  
صباح اليوم النشرة الملحة بهذه الدورة، وتساءلت أنها تنبهت إلى هذا  
الموضوع ووضعت يدها عليه، فنحن حين تحدثت عن اعلام خارجي،  
وعن افكاره وعن وسائل التحصص، فاما نحكي في حقيقة الأمر عن عملية  
تفاعل حضاري، فلنحاول أن نتعمق في فهم هذه العملية

ابن خلدون تحدث عن علم العمران البشري ووضع فيه نظريته ثم  
تطور هذا العلم وتقدم كثيرا في القرن الأخير على عدة من علماء الاجتماع  
وعلماء فلسفة التاريخ، وصدر في ما صدر كتاب (شنيدار) وكتاب (توبيني في  
التاريخ) الذي هو من اشمل الكتب عن قيام الحضارات.

وصدر في مكتبتنا العربية عدة من الكتب التي تناولت هذا الموضوع  
ولكن اشملها هو كتاب قسطنطين زريق (في معركة الحضارة).

الحضارة نعرفها جميعا بأنها الجهد المبذول في امة لتحقيق حياة اكثرا  
رقيا وتقديما، والرقي والتقدم على الصعيدين المادي والمعنوي، وقد شهد  
التاريخ الانساني كثيرا من الحضارات ومن ثم شهد مجموعة ظواهر  
فالحضارات تتوالى وتتفاعل، ومن خصائصها أنها حركة تميز  
بالдинاميكية مع أنها تتغير وتتطور، فطبيعة الإنسان أنه يتعلم ويُعلم، وأنه  
يُقلّد ويُقلّد، وأنه يأخذ ويعطي هذا التبادل في المجتمع الواحد ينشئ  
الحضارة، فكيف بالتبادل بين حضارة وآخرى، فهو يحقق عملية التفاعل  
الحضاري

فما هي سبل التفاعل الحضاري وما هي وسائله؟

باختصار: هنالك الغزوات والفتورات والخروب كانت تنقل دائمًا تجارب مجتمع إلى مجتمع آخر، هناك انتقال الأشخاص. وهناك انتقال الأشياء المادية، فأي جهاز يأتي وأي إذاعة تأتي من مكان إلى مكان، تحمل في طياتها بصمات صانعيها، وهنالك أخيرًا ظاهرة فادحة، هي ظاهرة الاستعمار الحديث الذي هو تجربة في التفاعل الحضاري فريدة من نوعها. شعوب تسلط على شعوب تحاول أن تفرض نماذجها في الحياة، وأن تتدخل في مختلف جوانب الحياة، تنطلق من فكرة خاطئة غبية، هي الاعتقاد المزعوم بوحدانية الحضارة فتحاول أن تفرض حضارتها، ولو كانت واعية لأدركت أن الشعوب التي غلت لها حضارة، ولها أصالتها، ولها تجربتها.

فالاستعمار الحديث حاول أن يفرض هذا وقد عانينا منه ما عانينا الاستعمار الحديث أخذ اشكالاً عددة من تسلط سياسي واقتصادي وسلط فكري وسلط التفاعل الحضاري يمكن أن يتم بشكل صحيح، وعندئذ هو مطلوب أما أن جاء على هذا الشكل الخاطئ فإنه مرفوض، فلابد أن نلاحظ أخيرًا أن تفاعل الحضارات في عصرنا جاء قوياً بفعل الأجهزة المختلفة من المذيع إلى التلفزيون إلى الفيديو، كلها تتحرك معاً، وكلها تنقل إليك الأفكار، وصوراً مختلفة من عوالم أخرى، وهذا يحقق التفاعل الحضاري.

اننا نلاحظ ثلث ملاحظات هامة في التفاعل الحضاري:

- 1 - ان التفاعل يكون من الأقوى إلى الأقل قوة، كالأواني المستطرقة، فان كان الماء هنا أكثر ينزل، وليس شرطاً أن المغلوب هو الأضعف، المغلوب عسكرياً أحياناً يكون هو الأقوى حضارة وهذا حصل في التاريخ بمثلين صالحين، حين فتحت روما بلاد الاغريق، أخذت كل حضارة الاغريق، وحين جاء الفرنجة إلى بلادنا، وغزونا في الخروب الصليبية أخذوا كل حضارتنا وتمثيلوها، ورحم الله فارسنا اسامة المنقذ في كتابه (الاعتبار)، وهو يحكي عن هذا التفاعل الحضاري وعن هذا التواصل الحضاري، ورحم الله ابن القوطة في الأندلس، وهو يحكي عن

هذه الشعوب المتر Burkeة التي لا تعرف شيئاً في ميدان الحضارة، والتي تأتي علينا لتأخذ ليس شرطاً إذن أن يكون الغالب هو الأقوى، وإنما نقصد بالأقوى الأقوى حضارياً بمؤسساته ومنجزاته وفكره.

٢ - الملاحظة الثانية ان التفاعل أخذ وعطاء، وان كانت نسبة العطاء من الأضعف أقل. ولكن له نسبة و يجب الانتباه لهذا في الاستعمار الحديث.

ففي تجربتنا الإنسانية المؤلمة التي عاشها أخواننا السود في الولايات المتحدة الأمريكية، الذين تركوا بعض بصماتهم على الحضارة الأمريكية الحديثة يجب ان نلاحظ ان بعض المؤرخين لفرنسا الحديثة يؤرخون المراحل المختلفة بحسب ما كان يجري في الجزائر، لأن ثورة الجزائر كانت تفرض نفسها على الحوادث وعلى الحياة داخل فرنسا.

التفاعل هو أخذ وعطاء وان كانت نسبة الأخذ والعطاء مختلف. الملاحظة الثالثة وهي هامة جداً، ان الانتقال من حضارة لأخرى يكون أسرع في انتقال الأشياء المادية من انتقال الأفكار

حين يكثر التفاعل الحضاري يحار المرء إزاءه وأنا اتناول هنا نقطة هي من اهم نقاط حديثنا اليوم.

هناك ثلاثة مواقف ازاء حضارة غازية، وازاء التفاعل الحضاري: موقف يرفض كل شيء يسميه بعضهم بموقف الانعزاليين، ويستجير لايستطيع ان يفر من مواجهتها، وغالباً ما يستجير بالعودة الى الماضي. الموقف الثاني: يرى ان هذه الحضارة أقوى وأفعل فيحاول أن يبحث عن سر قوتها فيستغير منجزاتها المادية، فيأخذ موقف الأخذ من كل شيء- الأفكار والأنظمة والإنجازات ولا يفرق ولا يبحث هنا يجب التنبيه الى ان الحضارة الغربية فيها تياران اساسيان، تيار غربي رأسمالي، وتيار داخلها شرقي ماركسي، ولكن الاثنين هما ابناء الحضارة نفسها، المصطلحات، والعلاقات الاجتماعية فنحن هنا نبحث عن ظواهر حضارية، وليس عن قضايا سياسية فالذين يحاولون ان يفرضوا ذلك بالقوة، عجيب ما يفعلون

انهم الانغماسيون، اذكر اني في سن العشرين شغلت بدراسة تجربة اتاتورك، كيف حاول ان يفعل شيئاً، واين يتمثل الخطأ هنا واذكر اني وقفت امام حادثة ما زالت ماثلة امامي اوردها هنا.

قرر في يوم ما كمال اتاتورك بالقانون أن يلبس جميع الأتراك القبعة، ويقول أحد الصحفيين الذي شهد تطبيق القانون: كنت في قرية مسلمة بتركيا وفيها عائلة واحدة من عائلات يونانية وفيها محل لبيع القبعات وفتحوه عنوة، وأخذ كل واحد قبعة، يقول الصحفي: ودهشت، اضحك ام ابكي حين ارى أولئك الرجال جميعاً يلبسون قبعات النساء.

الانغماسيون يقلدون تقليداً أعمى، ولا يحلون المشكلة ابداً ونهيّاتهم كارثة، وما حصل في بعض أقطارنا من جيشان خلال السنوات الماضية انما اعلن فشل التغيير.

الاستجابة الصحيحة لثل هذه التجربة هي في التيار الثالث.  
اما التيار الأول والثاني فيهما رد فعل.

التيار الثالث هو الذي يستجيب لتحدي الحضارة الغازية بالبحث عن سرها وعوامل قيام الحضارة ، ويبداً هو بأن يفعل من جديد ، وهنا نقف امام ظاهرة هامة وهي ان الأمة ذات الحضارة تبدأ تتفاعل مع حضارتها الماضية التي نسميتها تراثها وهذا حصل بوضوح في عصر النهضة كما احتكت اوروبا بحضارتنا العربية الاسلامية والحضارة الرومانية والحضارة الاغريقية

ولما احتككنا نحن بالحضارة الغربية عنا لنخرج تراثنا ، والتراث لا يكون حيا الا في امة حية، وأن أهم الأمور أن نجمع بين الأصالة والمعاصرة.

تلك هي الاستجابة الصحيحة التي تحدث بنا السير في ابعاننا الحضاري كي نسهم في بلوغ اهدافنا في الحضارة الانسانية وإثرائها، وهنا ينبغي ان أختصر فأتناول ثلاث نقاط:

الأولى: مادمتم تعاملون مع اعلام خارجي ، وما دمتم مسؤولين تربية أو إعلاماً أو أمناً على ضبطه فدعونا نشرح عملية الاتصال ، ولقد خطرت

الفكرة على بالي وانا جالس في ندوة اليونسكو فاستخدمت هذا التعبير  
(تشريح عملية الاتصال).

فهي تتالف من امور اربعة:-

١ - انسان يتصل او يُتصل به

٢ - مضمون هذا الاتصال فكرة كانت او خبراً او أي شيء.

٣ - الأجهزة التي يتم بها الاتصال.

٤ - الجهات التي تشرف على هذا الاتصال. وهو الذي يعنينا هنا  
ونضبط اموره.

أي اني أقول لهذه الجهات: انها تعامل مع انسان ومع مضمون ومع  
أجهزة وعليها أن تحسن التعامل.

الفكرة التالية هي مضمون الاعلام الخارجي الذي نحن بصدده وقد  
مهد لها عرضي السابق.

نحن اليوم نعيش في ظل الحضارة الحديثة، ويجب ان نعرف بأن جل  
المنتجات المتعلقة بالاتصال تأتي من تلك الجهات، ويجب ان نعرف بأن  
هناك خللاً فيها يسمونه (تدفق المعلومات)، ولقد خصصت (اليونسكو) لجنة  
على أعلى مستوى لكتابه تقريرها على هذا الموضوع ونشر التقرير في كتاب  
ضخم طبع في الجزائر، والتقرير جاء تحت عنوان (أصوات متعددة وعالم  
واحد).

والعنوان يوحي بأن عالمنا ما دام واحداً، فلا يجوز ان يكون فيه  
صوت واحد، بل يجب ان يكون فيه اصوات جميع الذين يقيمون فيه  
التقرير يبرز الخلل لتدفق المعلومات التي تأتي من ناحية لأخرى ولا ترشد،  
ودراسات تفصيلية، كم نسبة الأخطار التي تقرأ في بلاد الغرب عنا وعن  
العالم الثالث عموماً كم نسبة ما نقرأ نحن عنهم، هذا الضجيج حول  
حضارتهم وثقافتهم وأفكارهم ومشكلاتهم التي نعيشها، والسبب هو ان  
التدفق جاء س ناحية واحدة.

فالاعلام الخارجي يوضح انا امام جوانب ايجابية منه، ومن المفيد ان  
نعرف عليها، وان تأتي علينا، وهناك اعمال تم في تلك المجتمعات

الخارجية صارت ملكا للانسانية جماء فمثل هذا الاعلام لا نضيق به بل نعطيه مكانه وحجمه، ولكن الويل كل الويل ان نركز عليه فقط ونسى مثلا وقضاياها وبالمناسبة يناقش علماء الاعلام حق الانسان في ان يعلم وحقه ايضا في ان يهرب من الاعلام، وذلك بعد ان اشتد ضغط الاعلام عليه يدخل الغرفة، فاذا بالتلفزيون واذا بالراديو واذا واذا الخ  
أين هو الاعلام الخارجي؟ من العرض السابق نصل إلى التحديد أن كل اعلام يخالف روح الأمة وقيمهما وتقاليدها وافكارها ويحاول ان يفرض عليها نماذج غريبة لا تقبلها فهو يخل بجوانب حياتها

فهذا الاعلام ضار ولا بد ان نواجهه

فكيف نواجهه وما هي وسائل التحصن إزاءه؟

في كل مواجهة يجب ان نأخذ في الاعتبار عدة امور:  
كيف نتعامل مع الانسان ونحن نريد بناء شخصيته المؤمنة المعاصرة؟

وشخصية الانسان مم تتألف؟ البعض يقول: هي عقل وضمير وذوق وانا احب ان ابدأ هو بدن وعقل وضمير وذوق، اشارة الى أبعاد اربعة وهي:

البعد الجسدي.

البعد العقلي.

والبعد الروحي (الضمير).

والبعد الجمالي (الذوق).

والشخصية الناقصة هي التي تهمل اي بعد من هذه الأبعاد، فيجب ان يحدث التكامل فيها.

وحيث بني الاسلام شخصية المسلم اعطى هذه الأبعاد حقها وبالعودة الى السيرة النبوية اعظم قصة تتلى (ان لبدنك عليك حقا، وان لنفسك عليك حقا، وان لأهلك عليك حق التواصل، فاعط كل ذي حق حقه) هكذا قال محمد ﷺ من سأله عن عبادته فرأى انها قليلة، يصوم ويfast، يصلی ويбанم ولا يعتزل النساء.

حبب الي من دنياكم ثلاث. . الخ .  
والأمثلة على ذلك كثيرة.

فالشخصية المسلمة هي الشخصية المتكاملة التي لا تعاني من الحرمان  
والتي شجعت فتوازنت وتعادلت.

يجب ان نذكر ايضا ونحن نبحث في التحصن، أخاطب اخوانى  
رجال الامن ورجال التربية ورجال الاعلام في نقطة هامشية في هذه المرحلة  
من تاريخنا .

ما هو الموقف الذي اقفله عند تناولى هذا الموضوع؟  
أهو موقف الواقعى بالمشكلة في حجمها الطبيعي الواثق بنفسه وبأتمه  
وبقدرتها على المواجهة، وقدرتها على دفع الانبعاث الحضاري .  
ان من اهم وسائل التحصن ان تقف هذا الموقف قبل ان تبحث عن  
وسائل التحصن، فمن تجاربنا الكثيرة في القرن الماضي ان استطعنا ان  
نقف في مواجهة هذه الحضارة الغازية، وان نطرح بضاعتنا، وأن ننق  
بأفكارنا، فرجالاتنا كرجالاتهم، وقدراتنا موجودة، وان سبقونا بجوانب  
مضيئه كالنضال والدأب والعمل، فنحن مصممون على ان يكون لنا  
النضال والدأب والعمل .

هذا الموقف اساسي، وفرق بين موقف الهمم الذي يفعل ردود الفعل  
ويبين موقف المستجيب الذي يفكر بتؤده، ويبحث المعمول وغير المعمول .  
إذا حصل الموقف الأول ولم تدرس التفاصيل، يأتي الشعار الذي  
استخدمناه (غزو فكري وخلقي)، فينفعل بعض الناس في عدد من  
الشعوب النامية والتجارب التي ما زلنا نعيشها . ويكون الحكم عاما وهو ان  
كل ما يأتي خطر وفيه غزو، فلنمنع الكتب ان تدخل وليس هذا استجابة  
صحيحة، (إذن فلنحرق الانتاج) .

لا! ان العلاج بهذه الطريقة لانصل به الى شيء . لتأخذ موقف  
الواثق، واثق الخطوة يمشي ملكا مطمئنا انه قادر على العلاج بعد هذا الموقف  
نقول: ان وسائل التحصن تأتي في نوعين، بعضها سلبي ، وبعضها ايجابي .  
فاما السلبي وهو مشروع فانا أريد أن أجنب مجتمعي زكاما لا يمكن أن

ينقل كما هو، والغرب نفسه الآن يرى أنه قد ذهب إلى مدى (الحرية الفردية) التي يعاني منها، وهو يحاول ارجاع التوازن ، ومن اسرار قوته ان كل ما حصل فيه خلل يطرحه للنقاش فيعالجها ، ولكن بعد أن يجرب ثم يسير.

لكن من حقنا نحن كحد من الرقابة محدود ان نمنع هذا الخلل الذي بلغ مداه ، والذي كان فيه اجماع على عدم فائدته وجوده .  
الوقاية هنا توضع ولكن في الأطر الصحيحة وبالحجم العقول ، ومرة أخرى اصدقكم بأنها لا تكون وحدها كافية .

ان وسائل التحصن الفاعلة التي تساعد الرقابة هي وسائل ايجابية يجب ان تصل بالانسان العربي المسلم الذي بينما ان تكون لديه شخصيته القادر على ان يرفض تلقائيا هذا الذي لا يناسبه يلفظه ازدراء لأنه لا يليق ، يلفظه احيانا كراهية لأنه لا يناسب مزاجه ، وليس ذلك تعصبا ، فيصبح كحال المؤمن وهو يشعر بأن الكفر كريه الى نفس . لماذا؟ لأن الفطرة السليمة لا تقبله . لي تخبرتي الشخصية مع اولادي وتلامذتي : كان المؤثر دائما ان تعطي الحرية المترنة بالمسؤولية ، وان تتيح الفرصة لمناقشة ما يعرض .  
نحن في عصر لا يمكن ان نمنع العيون عن ان ترى ، ولا الآذان عن ان تسمع ، عصر تداخل ، فنرى في الفيديو بالبيت اشرطة العنف التخريبية التي لا تمثل روح مجتمعاتنا ويعجب المرء منها . ترى اشرطة تقدس الفرد ، وهو بعزل عن المجتمع ، ليست هذه روح حضارتنا ، روح حضارتنا تمثل في أننا نركب السفينة ، البعض أصاب أعلاها ، والبعض أصاب أسفلها ، فإذا الذي بأسفلها اذ طلب الماء وثبت مكانه هلك الجميع يقول (الله): اذا أخذوا على يده نجا ونجوا جميعا ، وان تركوه هلك وهلكوا مجتمعنا مختلف فيه هذه المعانى .

مجتمعنا لا ترد فيه فكرة (فرا愆 العجيب) هذا المصطلح التلفزيوني الذي ساد في السبعينات وكان الذي يفعل كل العجزات .  
حد ادنى من بذل الطاقات مطلوب ، ولكن في الوقت نفسه يجب ان يأخذ بعده الاجتماعي

لا بد من ان تكون وسائل التحضر مقتنة بعمل ايجابي، لابد لاعلامنا ان يفعل فعله بحيث انك لو وضعت هذا الشريط المستورد، ووضعت شريطا يمثل ترائك، فانك ستشاهد ما يمثل ترائك بمعنده، واذا شدك الشريط الاول بشيء جديد يستحق الأهمية، وعندها لا اعتبره ضارا. هام جدا ان اصنع انا الاعلام. وهذا دور الاعلاميين والمفكرين، ودور الذين يعطون المادة. وصحيح ان ما نتج حتى الان قليل، ولكنه بالقياس الى عشرين سنة خلت نجد الخط البياني في ارتفاع. قد تتساءلون اذن. لماذا هو قليل؟ لأن الحاجيات مبالغ فيها، ولأن ملكاتنا من الأفراد في هذا الطور الحضاري اقل من الميادين الواسعة التي خضناها مع الزمن سوف نتقدم في هذا.

ومن وسائل التحضر الامامية تشجيع حركات النقد فالنقد يعلم الناس الذوق الرفيع، ويعلّمهم ان يميزوا الخبيث من الطيب، ويعودهم على ان ينسجموا مع الرفيع.

في هذا المجال نسير قدما ونقدم تجربتنا ولعلنا نصل الى ان نفرض اعلامنا على العالم الخارجي.

ولقد حدث هذا احيانا قليلة.

فاني اذكر أنه ابان معركة بيروت الكبرى استطاع الحدث الساخن الحاد الذي عبر عن معان كثيرة ان يفرض نفسه على العالم اجمع يوميا، وكيف تأثر العالم برؤيه صور بمعان جليلة تتصل بثورة التحرير وبقيم التحرير، وبقيم الانسان الذي يرتبط بشعبه ووطنه. وامته وربه.

انتا ننطلق من حضارة تقول:

ان الله سبحانه وتعالى خلق الناس في نظرة شاملة، وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا، فحق علينا وواجب ان نتعارف وهذا يعني ان نتواصل وان نكون ايجابيين في تواصلنا، وان نكون فاعلين واثقين قادرين على تمييز الخبيث من الطيب، وعلى بناء جيل يربط بين الأصالة والمعاصرة ويتحمل مسؤوليته كاملة